واجبات علماء المذاهب الإسلامية لاستئصال التيار التكفيري

المكان: طهران

الزمان: ١٣٩٣/٩/٤ش. ١٤٣٦/٢/٢هـ. ٢٠١٤/١١/٢٥م.

المناسبة: انعقاد المؤتمر العالمي للتيارات التكفيرية من وجهة نظر علماء الإسلام

الحضور: المشاركون في المؤتمر العالمي للتيارات التكفيرية من وجهة نظر علماء الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا المصطفى الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين وعلى صحبه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أولاً أرحب بالضيوف الأعزاء والحضور المحترمين وعلماء سائر المذاهب الإسلامية الحاضرين في هذه الجلسة. وأشكر حضوركم الفعال المفيد في اجتماعات هذا المؤتمر المهم على مدى يومين.

أرى من الضروري أن أتقدم بالشكر للعلماء الكبار وفضلاء قم، وخصوصاً سماحة آية الله مكارم الشيرازي وسماحة آية الله السبحاني، الذين ابتكروا هذه الفكرة ونفذوها عملياً وقاموا بحمد الله بالخطوات الأولية التمهيدية لهذا المشروع، وهذه حركة يجب أن تستمر. اطلعت إجمالاً على كلمات المتحدثين المحترمين خلال اليومين الماضيين، وأذكر بدوري بعض النقاط:

أولاً هذا المؤتمر هو من أجل مناقشة التيار التكفيري وهو تيار مضر وخطير في العالم الإسلامي. ومع أن هذا التيار التكفيري ليس بالجديد وله سوابقه التاريخية، لكنه استعاد حياته في الأعوام الأخيرة وفق مخططات الاستكبار وبأموال بعض حكومات المنطقة وبتخطيط من الأجهزة التجسسية للبلدان الاستعمارية – مثل أمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني – وازداد قوة. هذه الجلسة وهذا المؤتمر وتحرككم هذا، كله من أجل مواجهة شاملة لهذا التيار، وليس لأجل ما يسمى اليوم بداعش، فالتيار الذي يعرف اليوم بداعش أحد فروع هذه الشجرة التكفيرية الخبيثة، وليس الشجرة كلها. هذا الفساد الذي أطلقته هذه الجماعة وهذا الإهلاك للحرث والنسل وسفك دماء الأبرياء جزء من جرائم هذا التيار التكفيري في العالم الإسلامي. ينبغي النظر للمسألة من هذه الزاوية.

إنني آسف قلباً لأننا في العالم الإسلامي حيث يجب أن نبذل كل طاقاتنا لمواجهة مؤامرة الكيان الصهيوني وتحركاته ضد القدس الشريف والمسجد الأقصى – وهذا ما يجب أن يحرّك العالم الإسلامي برمّته – مضطرون اليوم لأن ننشغل بالمشكلات التي أوجدها الاستكبار في داخل العالم الإسلامي، ولا مفرّ من هذا. والواقع أن الخوض في قضية التكفير شيء فرض على علماء العالم الإسلامي والواعين

والنخبة فيه. لقد أدخل العدو هذه المشكلة المفتعلة المصطنعة في العالم الإسلامي، ونحن مضطرون للخوض فيها.

لكن القضية الأصلية هي قضية الكيان الصهيوني، والقضية الأصلية هي قضية القدس، والقضية الأصلية هي قضية قبلة المسلمين الأولى أي المسجد الأقصى. هذه هي القضايا الأساسية.

ثمة نقطة لا تقبل الإنكار هي أن التيار التكفيري والحكومات التي تدعمه وتحميه تتحرك تماماً باتجاه نوايا الاستكبار والصهيونية. أعمالهم تصبّ باتجاه أهداف أمريكا والحكومات الاستعمارية الأوربية وحكومة الكيان الصهيوني المحتل. ثمة شواهد تجعل هذا المعنى أكيداً وقطعياً. التيار التكفيري له ظاهر إسلامي لكنه عملياً في خدمة التيارات الاستعمارية والاستكبارية والسياسية الكبرى التي تعمل ضد العالم الإسلامي. هناك شواهد واضحة لا يمكن تجاهلها. أذكر بعض هذه الشواهد. أحد الشواهد هو أن التيار التكفيري استطاع تحريف حركة الصحوة الإسلامية. لقد كانت حركة الصحوة الإسلامية حركة مناهضة لأمريكا والاستبداد وعملاء أمريكا في المنطقة. لقد كانت حركة قام بها عموم الناس في بلدان مختلفة في شمال أفريقيا ضد الاستكبار وضد أمريكا. وقام التيار التكفيري بتغيير اتجاه هذه الحركة العظيمة المناهضة للاستكبار ولأمريكا وللاستبداد، وجعلها حرباً بين المسلمين واقتتالاً بين الإخوة. لقد كانت حدود فلسطين المحتلة الخط الأمامي للكفاح في هذه المنطقة. وجاء التيار التكفيري وبدّل هذا الخط الأمامي إلى شوارع بغداد والمسجد الجامع في سورية ودمشق وشوارع باكستان ومدن سورية المختلفة، فصارت هذه هي الخط الأمامي للكفاح.

لاحظوا الوضع الحالي في ليبيا، وانظروا لوضع سورية، ووضع العراق، ولوضع باكستان، ولاحظوا ضد من تشهر السيوف والطاقات في يد المسلمين؟ هذه سيوف يجب أن تشهر ضد الكيان الصهيوني. لقد غيّر التيار التكفيري اتجاه هذا الكفاح وجاء به إلى داخل البيت وداخل مدننا وداخل البلدان الإسلامية. ينفذون انفجاراً داخل المسجد الجامع في دمشق، ويفجرون حشود الناس العاديين في بغداد، وفي باكستان يفتح مئات الناس النار على مئات الناس. وفي ليبيا لاحظوا الوضع الذي صنعوه وأوجدوه. هذه كلها إحدى الجرائم التاريخية التي لا تنسى للتيار التكفيري الذي أوجد هذا الوضع. هذا كله يصبّ لخدمة هذا التيار، وهو تغيير في الاتجاه يخدم أمريكا وبريطانيا والأجهزة التجسسية الأمريكية والبريطانية والموساد وما شابه. والشاهد الآخر هو أن الذين يدعمون هذا التيار التكفيري يتحالفون مع الكيان الصهيوني ليحاربوا المسلمين. لا يعبسون أبسط تعبيس في وجه الكيان الصهيوني لكنهم يوجهون مختلف الضربات والمؤامرات ضد البلدان الإسلامية والشعوب المسلمة بذرائع شتى. وشاهد آخر هو أن هذه الفتنة التي أوجدها التيار التكفيري في البلدان الإسلامية وفي العراق وسورية وليبيا وبعض مناطق لبنان وبلدان أخرى، أدّت إلى تدمير البنى التحتية القيمة في هذه البلدان. لاحظوا كم من الطرق وكم من

المصافي وكم من المناجم والمطارات والشوارع والمدن والبيوت تدمرت في هذه البلدان نتيجة هذه الحروب الداخلية والاقتتال بين الإخوة؟ كم من الزمن والمال والتكاليف يجب أن تنفق لإعادة هذه الأشياء إلى حالها الأولى؟ هذه هي الأضرار والضربات التي وجهها التيار التكفيري للعالم الإسلامي خلال هذه الأعوام وإلى اليوم.

وشاهد آخر هو أن التيار التكفيري شوّه وجه الإسلام في العالم وجعله قبيحاً. لقد شاهد العالم كله في التلفزة أنهم يجلسون شخصاً ويضربون عنقه بالسيف من دون أن تكون هناك جريمة معينة قد ارتكبها: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ (١). لقد عمل هؤلاء بعكس هذا تماماً. قتلوا المسلمين وأجلسوا غير المسلمين الذين لم يحاربوهم تحت السيوف، وبثت صور ذلك في العالم كله وشاهده العالم برمته. شاهد العالم كله أن شخصاً وباسم الإسلام مدّ يده واستخرج من صدر إنسان مقتول قلبه وراح يعضّه؛ لقد شاهد العالم ذلك. وقد تسجلت هذه الأحداث باسم الإسلام. إسلام الرحمة والتعقل والمنطق وإسلام ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ يطرحه هؤلاء بهذه الصورة، فهل جريمة فوق هذه؟! وهل فتنة أخبث من هذه؟! هذا ما قام به التيار التكفيري.

وشاهد آخر هو أنهم تركوا محور المقاومة وحيداً. لقد قاتلت غزة لوحدها خمسين يوماً، وقاومت لوحدها خمسين يوماً. لم تذهب الحكومات الإسلامية لمساعدة غزة، ولم توضع الأموال والدولارات النفطية لخدمة غزة، مع أن بعضها وضع لخدمة الكيان الصهيوني. هذا شاهد آخر.

سيئة أخرى وشاهد آخر هو أن التيار التكفيري حرّف حماس واندفاع الشباب المسلم في كل العالم الإسلامي. في كل أرجاء العالم الإسلامي يحمل الشباب اليوم حماساً واندفاعاً، وقد أثرت فيهم الصحوة الإسلامية، وهم على استعداد للعمل من أجل خدمة الأهداف الإسلامية الكبرى، وقام هذا التيار التكفيري بتحريف اتجاه هذا الاندفاع والحماس، حيث جرّ أشخاصاً من الشباب الجهلة غير الواعين نحو قطع رؤوس المسلمين وارتكاب مذابح ضد النساء والأطفال في قرية؛ هذه من سيئات التيار التكفيري. لا يمكن غضّ الطرف بسهولة عن هذه الشواهد والقرائن، فهي كلها تدل على أن التيار التكفيري يعمل لخدمة الاستكبار ولخدمة أعداء الإسلام ولخدمة أمريكا ولخدمة بريطانيا ولخدمة الكيان الصهيوني. وطبعاً هناك شواهد أخرى، فقد أعلمونا بأن طائرات النقل الأمريكية قذفت الأعتدة التي تحتاجها هذه الجماعة المسماة بداعش في مناطق تواجدها في العراق، قذفتها لها من الجوّ وأوصلت لهم المساعدات. وقلنا ربما كان هذا خطأ، ثم تكرر، وحسب ما أعلموني فقد تكرر هذا الأمر خمس مرات، فهل أخطأوا خمس مرات؟ ثم يتظاهرون بأنهم شكلوا تحالفاً لمحاربة داعش، وهذا محض كذب. إن هذا التحالف

ينشد أهدافاً خبيثة أخرى، فهم يريدون إبقاء هذه الفتنة ملتهبة، وإشعال الاقتتال بين الجانبين واستمرار الحرب الأهلية بين المسلمين على حالها. هذا هو هدفهم. وطبعاً سوف لن يستطيعوا؛ اعلموا هذا.

هناك عدة واجبات كبيرة ينبغي النهوض بها. لقد فكرتم أيها السادة المحترمون خلال اجتماعات هذا المؤتمر على مدى يومين بطرق وحلول وتابعتم الموضوع وحددتم واجبات، وأذكر هنا بعض الأعمال الضرورية التي لا يمكن تجاهلها. الشيء الأول هو نهضة علمية ومنطقية شاملة من قبل كل علماء المذاهب الإسلامية لاستئصال التيار التكفيري، وهذا الأمر لا يختص بمذهب دون آخر. كل المذاهب الإسلامية التي تهتم لأمر الإسلام وتؤمن بالإسلام وتتحرّق قلوبهم للإسلام لهم نصيبهم في هذا الواجب وهم شركاء فيه. يجب إطلاق حركة علمية هائلة. لقد نزلوا هذه الساحة بشعار كاذب هو اتباع السلف الصالح، ويجب إثبات كراهية السلف الصالح للأعمال التي يقومون بها، بلغة الدين والعلم والمنطق الصحيح. أنقذوا الشباب! هناك البعض يتأثرون بهذه الأفكار المضلة ويتصورون أنهم يفعلون شيئاً حسناً. إنهم مصداق للآية الشريفة: ﴿قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرينَ اَعمالاً اَلَّذينَ ضلَّ سَعيُهُم فِي الحَيوةِ الدُّنيا وهُم يَحسَبونَ اَنَّهُم يُحسِنونَ صُنعاً﴾ (٢) إنهم مصداق هذه الآية. يتصورون إنهم يجاهدون في سبيل الله. إنهم الذين سيقولون لله يوم القيامة: ﴿رَبَّنا اِنّا اَطَعنا سادَتَنا وكُبَراءَنا فَاَضَلّونَا السَّبيلا رَبَّنا ءاتِهِم ضِعفَينِ مِنَ العَذابِ والعَنهُم لَعناً كَبيراً﴾ (٣) هؤلاء هم أولئك التعساء. ومنهم ذلك الذي قتل عالماً مسلماً كبيراً في مسجد دمشق. ومنهم ذلك الذي يجزّ رؤوس المسلمين بذريعة الانحراف عن الدين. والذي ينفذ التفجيرات في باكستان وأفغانستان وبغداد ومدن العراق وسورية ولبنان المختلفة ويضرّج الأبرياء بدمائهم هو من أولئك الذين سيقولون يوم القيامة: ﴿رَبَّنا إِنّا اَطَعنا سادَتَنا وكُبَراءَنا فَاَضَلّونَا السَّبيلا رَبَّنا ءاتِهِم ضِعفَينِ مِنَ العَذابِ﴾ (٤) ، ويقول القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿لِكُلٍ ضِعفٌ﴾ (٥)؛ لا يقبل الله منهم قولهم ﴿رَبَّنا ءاتِهِم ضِعفَينِ﴾، بل يقول: ﴿لِكُلٍ ضِعفٌ﴾. أي إن كلا الفريقين التابع والمتبوع سينال ضعفاً من العذاب. ﴿تَخاصُمُ اَهلِ النّار﴾ (٦)؛ سوف يتنازعون. يجب إنقاذ هؤلاء. يجب إنقاذ هؤلاء الشباب، وهذا يقع على عاتق العلماء. وللعلماء علاقاتهم بالأوساط التنويرية، وكذلك بأوساط الناس والمجتمع، ويجب أن يسعوا سعيهم. سوف يسأل الله تعالى يوم القيامة من العلماء عن هذا وما الذي فعلوه. لذلك يجب أن يعملوا ويبادروا. هذا أحد الواجبات.

العمل الثاني وهو ضروري جداً التنوير بخصوص سياسات أمريكا وبريطانيا الاستكبارية؛ يجب التنوير؛ يجب أن يعلم العالم الإسلامي كله ما هو دور السياسات الأمريكية في هذا الخضمّ؟ وما هو دور الأجهزة التجسسية الأمريكية والبريطانية والصهيونية في إحياء تيار الفتنة التكفيرية؟ ينبغي للجميع أن يعلموا هذا. يجب أن يعلم الجميع أن هؤلاء يعملون لأولئك، فالمخططات من أولئك والدعم منهم ورسم الطرق منهم، والمال من عملائهم في حكومات المنطقة. هم الذين يمنحون الأموال، وأولئك هم الذين يرسمون

الخطط، وهؤلاء التعساء المساكين ينزلون هذه المشكلات بالعالم الإسلامي. هذه أيضاً عملية ضرورية أخرى يجب القيام بها.

العمل الثالث الذي يجب بالتأكيد القيام به هو الاهتمام بالقضية الفلسطينية. لا تسمحوا بنسيان قضية فلسطين والقدس الشريف وقضية المسجد الأقصى، فهم يريدون هذا. إنهم يريدون للعالم الإسلامي أن يغفل عن قضية فلسطين. لاحظوا أن حكومة الكيان الصهيوني في هذه الأيام أعلنت عن يهودية بلد فلسطين. أعلنوا عنه بلداً يهودياً. كانوا يسعون لهذا منذ فترات طويلة وقاموا بهذه العملية الآن بصراحة. يسعى الكيان الصهيوني وسط غفلة العالم الإسلامي وغفلة أبناء الشعوب المسلمة لاحتلال القدس الشريف والمسجد الأقصى وإضعاف الفلسطينيين أكثر فأكثر. ينبغي التنبّه لهذا.

على كل الشعوب أن تطالب حكوماتها بالاهتمام بقضية فلسطين. على علماء الإسلام أن يطالبوا حكوماتهم بهذا وبمتابعة قضية فلسطين. هذا من الواجبات الأساسية المهمة. إننا نشكر الله على أن الحكومة والشعب في الجمهورية الإسلامية كلمتهم واحدة في هذا الخصوص. لقد أعلنت الجمهورية الإسلامية منذ البداية وأعلن إمامنا الخميني الجليل بأن سياستنا هي دعم فلسطين ومعاداة الكيان الصهيوني، ورفع هذا الراية التي لا تزال مرفوعة إلى اليوم، ولم ننحرف عن هذا النهج منذ ثلاثة وخمسين عاماً، وشعبنا يواكب هذا النهج بكلّ رغبة. أحياناً حين يراجع بعض شبابنا لا يسمعون جواباً، ويكتبون لي الرسائل ويتوسلون بأن نسمح لهم بالذهاب للقتال في الخطوط الأمامية ضد الكيان الصهيوني. الشعب يعشق الكفاح ضد الصهاينة وقد أثبتت الجمهورية الإسلامية ذلك. لقد تجاوزنا بتوفيق وفضل من الله قيود الاختلافات المذهبية. نفس المساعدة التي قدمناها لحزب الله لبنان وهو شيعي قدمناها لحماس وللجهاد وسوف نقدمها أيضاً. لم نقع أسرى القيود المذهبية، ولم نقل إن هؤلاء شيعة وهؤلاء سنة، وهؤلاء حنفية وهؤلاء حنابلة وهؤلاء شافعية وهؤلاء زيدية. مناطق فلسطين الأخرى أيضاً يجب أن تتسلح.

لقد نظرنا إلى ذلك الهدف الأصلي وقدمنا المساعدة واستطعنا تعضيد إخوتنا الفلسطينيين في غزة وفي المناطق الأخرى، وسوف نستمر إن شاء الله، وقد أعلنتُ وهذا ما سوف يحدث بالتأكيد بأن الضفة الغربية أيضاً يجب أن تتسلح مثل غزة وتكون مستعدة للدفاع. وأقولها لكم أيها الإخوة الأعزاء: لا تخيفكم الهيمنة الأمريكية، فالعدو صار ضعيفاً. عدو الإسلام، وهو الاستكبار، أصبح اليوم أضعف من كل الفترات السابقة التي تمتد لمائة عام أو لمائة وخمسين عاماً. لاحظوا الحكومات الاستعمارية الأوربية. إنها تعاني من مشكلات اقتصادية ومشكلات سياسية ومشكلات أمنية ومختلف صنوف المشكلات. وأمريكا أسوء منهم، فهي تعاني مشكلات أخلاقية ومشكلات سياسية ومشكلات مالية شديدة وتعاني من ضعف في مكانتها كقوة عظمى في كل العالم، وليس في العالم الإسلامي فقط بل في كل العالم. والكيان الصهيوني ازداد ضعفاً بشدة قياساً إلى الماضي. إنه نفس الكيان الذي كان يرفع شعار من النيل إلى

الفرات! كان يصرح ويهتف بصراحة إن منطقة النيل إلى الفرات هي لي! طوال خمسين يوماً في غزة لم يستطيعوا فتح أنفاق الفلسطينيين. إنه نفس الكيان. استخدم طوال خمسين يوماً كل طاقاته لتخريب أنفاق حماس والجهاد والفلسطينيين تحت الأرض واحتلالها فلم يستطيعوا. إنه نفس الكيان الذي كان يقول إن النيل إلى الفرات هو لنا! لاحظوا كم اختلف وضعه وكم صار ضعيفاً. مشكلات أعداء الإسلام كثيرة. لقد أخفق أعداء الإسلام في العراق، وأخفقوا في سورية، وأخفقوا في لبنان، وأخفقوا في مناطق أخرى، ولم تتحقق أهدافهم. وفي مواجهة الجمهورية الإسلامية تلاحظون أن أمريكا والبلدان الاستعمارية الأوربية اجتمعوا في قضية الملف النووي واستخدموا كل طاقاتهم لتركيع الجمهورية الإسلامية فلم يستطيعوا تركيعها ولن يستطيعوا. هذا ينمّ عن ضعف الطرف المقابل. وأنتم سوف تزدادون إن شاء الله قوة يوماً بعد يوم، فالمستقبل لكم، ﴿وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى اَمرِهِ﴾ (٧) (٨) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ – سورة الممتحنة، الآية: ٨ وشطر من الآية: ٩ .

٢ – سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ و١٠٤ .

٣ – سورة الأحزاب، شطر من الآية: ٦٧ والآية: ٦٨ .

٤ – نفس المصدر .

٥ – سورة الأعراف، شطر من الآية: ٣٨ .

٦ – سورة ص ، شطر من الآية: ٦٤ .

٧ – سورة يوسف، شطر من الآية: ٢١ .

٨ – أقيم هذا المؤتمر في يومي الثالث والعشرين والرابع والعشرين من نوفمبر ٢٠١٤ م بدعوة من آية الله الشيخ ناصر مكارم شيرازي (رئيس المؤتمر) وآية الله جعفر سبحاني (الأمين العلمي للمؤتمر) في مدينة قم.